مُكافحة الإسلاموفوبيا..
اعتراف العالم وتعظيم الفرصة

د.الوليد سيد محمد علي
دبلوماسي سوداني
باحث في العلاقات الدولية
ElwaleedSB@gmail.com

يتساءل الكثير من الباحثين والمهتمين بشؤون المجتمعات الإسلامية في الغرب عن: ما هي الأدوار المنتظرة لتلك المجتمعات من الاستفادة بإعلان الأمم المتحدة عن تخصيص يوم عالمي لمكافحة الإسلاموفوبيا؟ وسبق ذلك تشريع الكونغرس الأمريكي بسن قانون لمكافحة الإسلاموفوبيا، وهذان المتغيران -بلا شك- يحتاجان للعديد من الأدوات التي يمكن لها أن تقطف ثمرات تلك الفرصة لتعزيز مكافحة الإسلاموفوبيا وتقديم الإسلام بجوهره الحقيقي. إسلاموفوبيا Islamophopia، أو رهاب الإسلام هو لفظ حديث نسبيا، يشير إلى الإجحاف والتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، وهو مصطلح مثير للجدل يُعَرّفه البعض على أنه تحيز ضد المسلمين، أو شيطنة المسلمين. لوحظ استخدام المصطلح منذ عام ١٩٧٦، لكنه اكتسب شيوعا هائلا منذ أواخر الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين، وتحديدًا في ١٩٩٧ عندما قامت خلية تفكير بريطانية (يسارية التوجه) تدعى "رنيميد ترست"، باستخدامه لإدانة مشاعر الكراهية والخوف والحكم المسبق الموجهة ضد الإسلام أو المسلمين، ثم عاد المصطلح ليُستخدم بشدة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام 2001.

والإسلاموفوبيا تتكون من كلمتي (إسلام وفوبيا)، وهي لاحقة يُقصد بها الخوف أو الرهاب غير العقلاني من شيء يتجاوز خطره الفعلي المفترض. عرفها قاموس أكسفورد الإنجليزي بـ"الخوف والكراهية الموجهة ضد الإسلام؛ كقوة سياسية تحديدًا، والتحامل والتمييز ضد المسلمين"، كما عرّفها باحث الدين المقارن السويدي ماتياس غارديل بأنها "الإنتاج الاجتماعي للخوف والتحامل على الإسلام والمسلمين، بما في ذلك الأفعال الرامية لمهاجمة أو التمييز ضد أو عزل أشخاص بناء على افتراضات ارتباطهم بالإسلام أو المسلمين".

التطورات الراهنة قدمت فرصة للمجتمعات الإسلامية في إطار مكافحة الإسلاموفوبيا وتعزيز قيم التعايش المشترك وإعلاء التسامح واحترام الأديان، فعلى سبيل المثال، فقد أصدرت الولايات المتحدة، من خلال الكونجرس، في ١٤ مارس ٢٠٢١، قانون مكافحة الإسلاموفوبيا الدولي، وهو واحد من القوانين التي تتسق مع نهج الحزب الديمقراطي بالولايات المتحدة، إذ معروف عنه أنه حزب داعم للأقليات، وهي تعتبر رصيده الانتخابي، والمسلمون من ضمنهم، حيث جاء القانون بموافقة كبيرة من الحزب الديمقراطي، وللأسف، عارضه جميع الجمهوريين باستثناء واحد، إذ يعتبر الجمهوريون أن القانون مهدد لأمن الولايات المتحدة ورؤية الحزب في محاصرة ما عرف بالإرهاب. إلا أن الديمقراطيين ينطلقون في إقرار القانون من تقليل الفوارق بين الأمريكان على أسس عرقية وإثنية وجنسية ودينية، ودعوتهم للاتحاد ضد كل أشكال التعصب الأعمى، وإنهاء كافة أشكال انتهاكات حقوق الإنسان للمسلمين في أي مكان بالعالم.. كما أن هنالك أسبابًا واقعية دعت الحزب الديمقراطي وإدارة بايدن للإسراع بإقرار القانون؛ مثل الارتفاع في ظاهرة الإسلاموفوبيا والعنف ضد المسلمين الأمريكيين داخل الولايات المتحدة وحول العالم في السنوات الأخيرة، ولا سيما منذ 11 سبتمبر 2001. إلى ذلك، فإن وجود مبعوث خاص لمكافحة معاداة السامية بوزارة الخارجية الأمريكية يجعل من المهم اتخاذ تلك الخطوة لمواجهة التعصب الديني بالولايات المتحدة وفي جميع أنحاء العالم.

وينص قانون مكافحة الإسلاموفوبيا على الصعيد الدولي على إنشاء مكتب مبعوث خاص في وزارة الخارجية الأمريكية لرصد ومكافحة الإسلاموفوبيا على الصعيد الدولي، حيث يتولى المكتب مراقبة ومكافحة كراهية الإسلام والتحريض على الإسلام في الدول الأجنبية. وينشئ مشروع القانون (المبعوث الخاص) لرصد ومكافحة الإسلاموفوبيا، والذي سيتولى رئاسة المكتب. ويشترط مشروع القانون أيضًا أن تتضمن التقارير السنوية المحددة الحالية المقدمة إلى الكونغرس حول حقوق الإنسان والحرية الدينية في الدول الأجنبية معلومات حول الإسلاموفوبيا.

تلي تلك الخطوة مؤخراً قرار الأمم المتحدة وبموافقة الدول الأعضاء بالإجماع تخصيص يوم عالمي لمكافحة الإسلاموفوبيا في 15 مارس من كل عام، حيث يدعو النص إلى توسيع الجهود الدولية لخلق حوار عالمي من شأنه أن يشجع التسامح والسلام ويركز على احترام حقوق الإنسان وتعدد الأديان والمعتقدات.

على الرغم من تلك الخطوات الدولية المهمة في شأن مكافحة الإسلاموفوبيا، فإنه لا تكفي فقط بيانات الترحيب من قبل الدول الاسلامية ومنظمة التعاون الإسلامي OIC والمجتمعات الإسلامية في الغرب والولايات المتحدة، بل على العالم الإسلامي، وعبر منظمة التعاون الإسلامي، أن يتناول ذلك من خلال تعظيم الفرصة والعمل على تطبيق مفاهيم الإسلام الأساسية والداعية لقيم التعايش والتسامح واحترام الآخر والحوار كما جاء في القوانين والتشريعات الدولية، وبخاصة في المجتمعات الغربية، ويقتضي ذلك العمل في المحاور التالية:

١/ التوعية والتثقيفAwareness and education: تنطلق عمليات التوعية والتثقيف من تعليم أصول وجوهر الإسلام الصحيح وقيمه الفاضلة، حيث دإ ارتباط قيم الاسلام الأساسية والصحيحة بالنشء عبر التعليم مهمة للغاية، خصوصا بعد الصورة النمطية stereotype الخاطئة عن الإسلام في الغرب، وينطلق ذلك من إعادة النظر في المناهج وتجديد الأدوات وابتكار طرق حديثة، ويشمل التعليم -كذلك- مسألة التثقيف وتقديم جوهر الإسلام الحقيقي دون غلو أو تطرف وتعريف الآخرين به، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عنه. وفي ذلك، فإن العديد من المؤسسات يمكن أن تلعب دورًا مهمًا؛ كالمدارس والجامعات والمساجد والمراكز الثقافية. وقد تُمثل المساحات الكبيرة في المجتمعات الغربية التي تفردها القوانين للأديان قوة دفع لوضع برامج توعوية وتعليمية مبتكرة لمحاربة الإسلاموفوبيا.

٢/ الهوية الثقافية والمواطنة Cultural identity and citizenship: يعدُّ تعريف الهوية الحضارية الغربية وعلاقتها بالإسلام من القضايا المثيرة للجدل بشكل كبير، ولا شك أنها تُشكِّل ساحات معارك مهمة للحركات والأحزاب الشعبية في العديد من البلدان. فالنقاش حول الإسلام هو أيضا نقاش حول مستقبل الغرب، الذي ربما يكون أكثر انفتاحا من ذي قبل. وعلى ذلك، فمن الأهمية بمكان تعظيم المواطنة وتعزيز قيم الدولة التي تنتمي إليها الجاليات المسلمة وعدم الانفراد بأُحادية الهوية أو تحديد مسار خاص بها، وذلك من خلال الاندماج المجتمعي وإظهار جوهر الإسلام الحقيقي، الأمر الذي يساعد في تعزيز التعايش الديني من جهة، وتنمية الهوية الجامعة للمسلمين وغيرهم من جهة أخرى.

٣/ المجتمع المتماسك والاندماج Cohesive society and Consolidation: من المعلوم أن الكثير من المجتمعات الإسلامية في الغرب تعاني من انقسامات حادة في الإطار المذهبي (سنة وشيعة)، أو حتى في إطار الانتماء للدولة الأم، الأمر الذي يقدم المجتمع الإسلامي بشكل مشوه ويعقد من قدرة اندماجه في المجتمعات الغربية. ومن أهم واجبات المجتمعات المسلمة بالخارج تقديم سلوك جماعي والتوافق على رؤية محددة تجاه القضايا الإسلامية الكبرى وتحقيق الاندماج المجتمعي وعدم العزلة.

مُجمل القول إن ثمة فرصة بعد التفاهمات الدولية حول مكافحة الإسلاموفوبيا تحتاج لتعظيم، ويأتي تعظيم الفرصة من خلال السلوك الشخصي للمسلم نفسه، وبخاصة أولئك الذين يعيشون في المجتمعات الغربية، والذي يبدأ بتغيير العديد من السلوكيات والمفاهيم، ومن ثم تتواصل أهمية عمل المجتمعات الإسلامية لتصحيح الإدراك perception والصورة الذهنية Im-age عن الإسلام، وتعزيز التوعية بجوهر الإسلام الحقيقي القائم وقواعده السمحة، القائمة على الوسطية والاعتدال والتوازن.